فتنة سليمان عليه السلام

وعبد السلام النبي

يقول تعالى :

(ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب)[1]

هنا يأتى تسجيل القرآن الكريم لفتنة سيدنا سليمان عليه السلام

والآية تنطق بأنه كان هناك فتنة وإلقاء للجسد على الكرسي ثم أعقب ذلك إنابة من سيدنا سليمان عليه السلام .

وبهذا القدر يجب الجزم والإيمان . فذلك هو نص القرآن الكريم

لكن الباحث حينما يتطرق لبحث تلك الفتنة والتعرف على أسبابها وما انتهى إليه أمرها يجد نفسه أمام سيل من التفسيرات وجمع ذاخر من الأقوال . قد عمرت بذلك كله كتب التفاسير .

وهذه الأقوال والتفاسير ليست على نسق واحد فكثير منها كتب بأقلام ما أظن أنها تنتسب إلى الأسلام بصلة ، ففي ثناياها ينسب إلى نبي الله ﷺ مالا يليق به لا بل مايخل بعصمته . أقول : بل إن فى بعضها مالو نسب إلى آحاد الناس لأذرى بهم .

فهذا واحد من الآراء يقول : إن سيدنا سليمان عليه السلام قد وعد زوجته بأن يحكم لأهلها بغير حق إرضاء لها ولو أنه لم يفعل . ، وآخر يقول إنه احتجب على الناس ثلاثة أيام فلم ينصف مظلوما من ظالمه ،

---

(١) الآية رقم ٣٤ من سورة (ص) .

وغيره يرى الشيطان إقد استولى على ملكه . وجلس على كرسيه بعد إن استولى على خاتمه الذى فيه ملكه كما يدعى .

وفى هذا الرأى روايات كثيرة يعارض بعضها بعضا مما سيأتى تفصيل لشيء منه .

ومن قائل إن الصنم قد عبد فى دار نبى الله عليه السلام أربعين يوما . ومن قائل بأنه خلف على ابن له رزق به من إيذاء الشياطين فرفعه فى السحاب وكان يغذوه فيه فما لبث أن سقط على كرسيه ميتا .

تلك أمثلة لما زخرت به الكتب مما يكون بين قبوله وبين صدور المؤمنين حجاب لتنافيه مع مقام الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام .

وبجانب تلك الآراء المنحرفة يطالع الباحث أقوالا أخرى . يمكن قبولها . حيث أنها تحفظ للأنبياء كرامتهم وعصمتهم وإن كان بعضها أقوى من بعض .

وأول تلك الأقوال ماجاء فى الحديث الصحيح الذى سبق ذكره وهو مرفوع إلى النبى ﷺ عن طريق أبى هريرة قال : قال سليمان عليه السلام (لأطوفن الليلة على سبعين امرأة . وفى رواية على أربعين تأتى كل واحدة منهن بفارس يقاتل فى سبيل الله ، فمر عليهن فلم تحمل إلا إمرأة واحدة جاءت بشق رجل .

قال عليه الصلاة والسلام : والذى نفسى بيده لو قال إن شاء الله . لقاتلوا فى سبيل الله فرسانا أجمعين : اهـ .

ومن قائل بأن الجسد الذى ألقى على الكرسى إنما هو سليمان نفسه بعد أن ابتلى بالمرض .

وإنابته إنما هى رجوعه إلى صحته .

والآراء فى ذلك كثيرة . لكنها كما قلنا تدور أولا بين القبول والرفض، فكثير منها مرفوض من أساسه ، أما ماهو مقبول فهو متردد بين القوة والضعف ، فبعضه أولى من بعض .

وها أنذا أثبت هنا مجملا لتلك الآراء نقلا عن مجمع البيان للطبرسى ثم بعد ذلك أحاول اختيار أفضلها مما لايتعارض مع عصمة الأنبياء ومنزلتهم . يقول الأمام الطبرسى مانصه :

(ولقد فتنا سليمان) .

أى إختبرناه وابتليناه وشددنا المحنة عليه .

(وألقينا على كرسيه) جسدا)

أى وطرحنا عليه جسدا ، والجسد هو الذى لاروح فيه .

(ثم أناب)

سليمان عليه السلام . واختلف العلماء فى ذلته وفتنته والجسد الذى ألقى على كرسيه على أقوال (منها) :

أن سليمان عليه السلام قال يوما فى مجلسه لأطوفن الليلة على سبعين إمرأة تلد كل منهن غلاما يضرب بالسيف فى سبيل الله ولم يقل إن شاء الله.

فطاف عليهن فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق ولد رواه أبو هريرة عن النبى ﷺ قال . ثم قال : فوالذى نفس محمد بيده لو قال

---

(١) ص ٤٧٥ جـ ٨ المجلد الرابع .

إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا ، فالجسد الذى ألقى على كرسيه كان هذا ، ثم أناب إلى الله تعالى . وفزع إلى الصلاة والدعاء على وجه الانقطاع إليه سبحانه وتعالى .

وهـذا لا يقتضى أنه وقع منه معصية صغيرة ولا كبيرة لأنه وإن لم يستثن ذلك لفظا فلا بد أن يكون قد استثناه ضميرا واعتقاداً . إذ لو كان قاطعا للقول بذلك لكان مطلقاً لما لا يأمن من أن يكون كذبا إلا أنه لما لم يذكر لفظـــة الاستثناء عوتب على ذلك من حيث ترك ما هو مندوب إليه .

(ومنها) ما روى أن الجن والشياطين لما ولد لسليمان ولد قال بعضهم لبعض إن عاش له ولد لتلقين منه مالقينا من أبيه من البلاء ، فاشفق منهم عليه فاسترضعه فى المزن (السحاب) فلم يشعر إلا وقد وقع على كرسيه ميتا تنبيها على أن الحذر لا ينفع عن القدر .

فإنما عوتب على خوفه من الشياطين عن الشعبى — والمروى عن أبى عبد الله عليه السلام (ومنها) أنه ولد له ولد ميت ، جســـد بلا روح .

فألقى على سريره عن الجبائى .

(ومنها) أن الجسد المذكور هو جسد سليمان لمرض امتحنه الله تعالى به وتقدير الكلام وألقينا منه على كرسيه جسد الشدة المرض فيكون جسدا منصوبا على الحال ، والعرب تقول فى الإنسان إذا كان ضعيفا هو جسد بلا روح ولحم على وضم .

(ثم أناب) أى رجع إلى حال الصحة عن أبى مسلم واستشهد على ذلك

بقوله تعالى (ومنهم من يستمع إليك إلى قوله (يقول الذين كفروا منهم أى المجادلين ، كما قال سبحانه :)[١] .

(محمد رسول الله إلى قوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة)[٢] .

وأما ما ذكر عن ابن عباس أنه ألقى شيطان اسمه صخر على كرسيه وكان ماردا عظيما لا يقوى عليه جميع الشياطين ، وكان نبى الله سليمان عليه السلام لا يدخل الكنيف بخاتمه ، فجاء صخر فى صورة سليمان حتى أخذ الخاتم من امرأة من نسائه ، وأقام أربعين يوما فى ملكه ، وسليمان هارب .

وعن مجاهد أن شيطانا اسمه (آصف) قال له سليمان كيف تفتنون الناس ؟ قال أرنى خاتمك أخبرك بذلك فلما أعطاه إياه نبذه فى البحر فذهب ملكه وقعد الشيطان على كرسيه ، ومنعه الله تعالى نساء سليمان فلم يقربهن ، وكان سليمان يستطعم فلا يطعم حتى أعطته امرأة يوما حوتا فشق بطنه فوجد خاتمه فيه . فرد الله عليه ملكه .

وعن السدى أن اسم ذلك الشيطان (حيقيق)

وما ذكر أن السبب فى ذلك أن الله سبحانه وتعالى أمره ألا يتزوج فى غير بنى اسرائيل فتزوج من غيرهم .

وقيل بل السبب فيه . أنه وطىء امرأة فى حال الحيض فسال منه الدم فوضع خاتمه ودخل الحمام فجاء إبليس الشيطان وأخذه ، وقيل تزوج

---

(١) الآية ٢٥ من سورة الأنعام .
(٢) الآية ٢٩ من سورة الفتح .

امرأة مشركة . ولم يستطع أن يكرهها على الاسلام . فعبدت الصنم فى داره أربعين يوما فابتلاه الله بحديث الشيطان والخاتم أربعين يوما .

وقيل احتجب ثلاثة أيام ولم ينظر فى أمر الناس فابتلى بذلك .

فأن جميع ذلك مما لا يعول عليـــه لأن النبوة لا تكون فى خاتم ، ولا يجوز أن يسلبها الله النبى ولا أن يمكن الشيطان من التمثل بصورة النبى والقعود على سريره والحكم بين النـاس من عبـاد الله . وبالله التوفيق . اه

ولقد جمع هـذه الآراء كثير من المفسرين منهم الألوسى والرازى والقرطبى وغيرهم وإن كان بينهم تفاوت بالزيادة والنقصان . إلا أن الجمهور قد رجح من تلك الأقوال الرأى الأول الذى محتواه حلف سيدنا سليمان عليـه السلام على الطواف على النساء ذوات العدد والذى مستنـده حديث الصحيحين برواياته الذى مر غير مرة .

وهم بذلك يختارون ما حقـه الاختيار ويدفعهم إلى ذلك ما ذكر من الحديث الصحيح .

ولقد سبق أن قال صاحب الظلال أن الحديث صحيح فى ذاته ، ولكنه ليس نصا فى أن ذلك هو فتنة سيدنا سليمان عليه السلام .

وعلى هذا يمكن أن يقال إن الترجيح لذلك الرأى مما سواه مرده إلى أنه على فرض أنه هو الذى كان لا يترتب عليه نسبة أى معصية كانت كبيرة أو صغيرة لسيدنا سليمان عليه السلام .

فترك الاستثناء إما كان لفظا فقط مع حضوره فى الضمير كما ذهب الطبرسى ، وإما نسيانا لينفذ مراد الله فيه أو هو من باب ترك

فقط وهو ليس بمعصية وإن كان يمكن أن يعاتب عليـــه النبي نظراً لعلو مقامه .

أما بقية الآراء فأقرب الآراء إلى الصحة بعـد الرأى الأول هو أن فتنة سليمان عليه السلام إنمـا هى مرضه وأن الجسد الملقى على كرسيه إنما هو شخصة . فهذا الرأى وهو لأبى مسلم لا يتوجه إليه نقد ولا يلحق النبي نقص بسببـه .

وإنما هو يحتاج فقط كسابقـه إلى التيقن من أن ذلك هو الذى قد كان .

أما ما عـدا ذلك من الآراء فإن البعض لا يرقى إلى ما رقى إليه الرأيان السابقان ، وبقية الآراء أولى بـما أن ترفض بادىء ذى بدء . وأحق تلك الآراء بالرفض هو ما ذكر من حديث الشيطان الذى جلس على كرسى سيدنا سليمان عليه السلام فترة من الوقت ولقد تعددت فيه الروايات مما يجعل التوفيق بينهما بعيدا إن لم يكن مستحيلا .

وأول هذه الاختلافات هو اختلافهم فى إسمه هو هل صخر أوآصف أو حبيق إلخ .

ثم أختلافهم فى كيفية وصوله إلى الكرسى . هل أخذ الخاتم من سيدنا سليمان نفسه أو أن الخاتم سقط من سليمان فى البحر أو أخذه من إحدى نسائه . (جرادة) أو أم ولده (أمينة) ثم الاختلاف فى سبب ذلك .

هل ما حصل من سليمان عليه السلام من التزوج من غير بنى إسرائيل أوإتيانه بعض نسائه وهن حيض .

أو أن الوثن عبد فى بيته أقوال ما أنزل الله بها من سلطان . ولا قام عليها برهان ولا يقبلها عقل إنسان .

والغريب فى ذلك أن تنسب أمثال تلك الأقاويل إلى حبر هذه الأمة وترجمان القرآن الكريم إلى سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، فقد ذكر ابن كثير مثل هذه الأقاويل ثم عقب عليها بقوله (وأرى هذه كلها من الإسرائيليات، ومن أنكرها ماقاله ابن أبى حاتم بسنده إلى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى :

(وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب)

قال : أراد سليمان عليه السلام أن يدخل الخلاء فأعطى جرادة خاتمه وكانت جرادة إمرأته ، وكانت أحب نسائه إليه فجاء الشيطان فى صورة سليمان ، فقال لها هاتى خاتمى ؛ فأعطته إياه ؛ فلما لبسه دانت له الأنس والجن والشياطين، فلما خرج سليمان عليه السلام من الخلاء ، فقال لها هات خاتمى ، قالت : قد أعطيته سليمان قال أنا سليمان قالت : كذبت ما أنت بسليمان ، فجعل لا يأتى أحداً يقول له أنا سليمان إلا كذبه حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة فلما رأى ذلك سليمان عرف أنه من أمر الله عز وجل ، قال : وقام الشيطان يحكم بين الناس ، فلما أراد الله تبارك وتعالى أن يرد على سليمان سلطانه ألقى فى قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان، قال : فأرسلوا إلى نساء سليمان ، فقالوا لهن أتنكرن من سليمان شيئا؟ قلن : نعم. إنه كان يأتين ونحن حيض ، وما كان يأتين قبل ذلك فلما رأى الشيطان أنه قد فطن له ظن أن أمره قد انقطع فكتبوا كتبا فيها سحر وكفر فدفنوها تحت كرسى سليمان ، ثم أثاروها وقرءوها على الناس وقالوا بهذا كان يظهر سليمان على الناس ويغلبهم ، فأكفر الناس سليمان عليه السلام فلم يزالوا يكفرونه ، وبعث ذلك الشيطان بالخاتم فطرحه فى البحر . فتلقفته سمكة فأخذته .

وكان سليمان عليه السلام يحمل على شط البحر بالأجر فجاء رجل فاشترى سمكا فبه تلك السمكة التى فى بطنها الخاتم . فدعا سليمان عليه

الصلاة والسلام فقال أتحمل لى هذا السمك ! فقال : نعم . قال : بكم ؟ قال بسمكة من هذا السمك . قال فحمل سليمان عليه الصلاة والسلام السمك ثم انطلق به إلى منزله ، فلما إنتهى الرجل إلى بابه أعطاه تلك السمكة التى فى بطنها الخاتم فأخذها سليمان عليه الصلاة والسلام فشق بطنها فإذا الخاتم فى جوفها فأخذه فلبسه ، قال : فلما لبسه دانت له الجن والأنس والشياطين . وعاد إلى حاله وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر ، فأرسل سليمان عليه السلام فى طلبه وكان شيطانا مريداً فجعلوا يطلبونه ولا يقدرون عليه حتى وجدوه يوما نائما . فجاءوا فبنوا عليه بنيانا من رصاص فاستيقظ فوثب فجعل لا يثب فى مكان من البيت إلا أناط معه من الرصاص ، قال فأخذوه فأوثقوه وجاءوا به إلى سليمان عليه الصلاة والسلام ، فأمر به فنقر له تخت من رخام ثم أدخل فى جوفه ثم سد بالنحاس ثم أمر به فطرح فى البحر .

فذلك قوله تبارك وتعالى :

(ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) يعنى الشيطان الذى كان سلط عليه .

إسناده إلى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قوى .

ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس رضى الله عنهما إن صح عنه من أهل الكتاب وفيهم طائفة لا يعتقدون بنبوة سليمان عليه الصلاة والسلام فالظاهر أنهم يكذبون عليه ، ولهذا كان فى هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء فأما المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجنى لم يسلط على نساء سليمان عليه السلام بل عصمهن الله عز وجل منه تشريفا وتكريما لنبيه عليه السلام .

وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعه من السلف رضى الله تعالى عنهم كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكلها متلقاه من قصص أهل الكتاب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب . اهـ(١) .

ومن هذا النص يظهر أن ما نسب إلى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لايكاد يصح رغم ماقاله ابن كثير من قوة الإسناد إليه . فلقد أكد أن ذلك كله مستفاد من أهل الكتاب ولاثقة فيما كتبوه .

ومع تأكيد ابن كثير على ما سبق فإنه يبدو من كلامه وكأنه يوافق على ما جاء من حديث الشيطان مع سليمان عليه السلام إلا أنه يكذب تسلطه على نسائه فينفى ذلك التسلط عصمة من الله وتشريفا لنبيه .

وإذا كان ابن كثير يرى قوة إسناد تلك الرواية إلى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما . فإن الإمام الألوسى لا يرى مثل ذلك الرأى . بل يرى عكسه .

يقول الألوسى ما نصه ونسبة الخبر إلى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا تسلم صحتها ، وكذا لا تسلم دعوى قوة سنده إليه .

وإن قال بها من سمعت ، وجاء عن ابن عباس برواية عبد الرزاق وابن المنذر ما هو ظاهر فى أن ذلك من أخبار كعب . ومعلوم أن كعبا يرويها عن كتب اليهود وهى لا يوثق بها) اهـ(٢) .

ولقد قال الزمخشرى بعد أن ساق هذه الروايات ما يلى :

ولقد أبى العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا من أباطيل اليهود والشياطين

---

(١) ص ٣٦ حـ ٤ نصر ابن كعب .
(٢) ص ٢٠٠ وما بعدها ج ٢٣ ط ٢ الدمشق .

لا يتمكنون من مثل هذه الأفاعيل وتسليط الله تعالى إياهم على عباده حتى يقعوا فى تغيير الأحكام وعلى نساء الأنبياء حتى يفجروا بهن قبيح .

وأما إتخاذ التماثيل فيجوز أن تختلف فيه الشرائع إلا ترى إلى قوله :

(من محاريب وتماثيل)

وأما السجود للصورة . فلا يظن لنبى الله أن يأذن فيه .

وإذا كان بغير علمه فلا عليه . اهـ(١) .

وجاء فى حاشية الجمل ما نصه :

(قال القاضى عياض وغيره من المحققين لا يصح ما نقله الإخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه فى أمته بالجور فى حكمه وإن الشياطين لا يتسلطون على مثل هذا . وقد عصم الله تعالى الأنبياء من مثل هذا(٢) .

والذى ذهب إليه المحققون أن سبب فتنته ما أخرج فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ومش ماذكره صاحب الكشاف والقاضى عياض مذكور فى كثير من كتب التفاسير . اهـ

لكن صاحب الظلال يختم حديثه عن حادثتى الصافنات والفتنة فيقول:

(ومن ثم لا يستطيع مثبت أن يقول شيئاً عن تفصيل هذين الحادثين المشار إليهما فى القرآن الكريم .

وكل ما نخرج به هو أنه كان هناك ابتلاء من الله وفتنة لنبى الله سليمان عليه السلام فى شأن يتعلق بتصرفاته فى الملك والسلطان كما يبتلى

---

(١) ص ٣٢٩ ج ٣ الكشاف .

(٢) ص ٥٧٥ ج ٣ حاشية الجمل .

الله أنبياءه ليوجههم ويرشدهم . ويبعد خطاهم عن الزلل ، أون سليمان أناب إلى ربه ورجع ، وطلب المغفرة واتجه إلى الله بالدعاء والرجاء . أهـ (١) .

وفى هذا الصنيع السلامة لمن أراد .

وقد ذكر الزمخشرى وتبعه الكثيرون أن زمن تلك الفتنة كان بعد مضى عشرين سنة من ملك سليمان عليه السلام .

وأنه عاش بعدها عشرين سنة أخرى وكان بدء ملكه وهو ابن ثلاث عشرة سنة فيكون عمره كله ثلاثا وخمسين سنة .

د . عبد السلام الذهبى
مدرس العقيدة بالكلية

---

(١) ص ٩٥ وما بعدها ج ٢٣